برج الشنانة .. شموخ المكان وروعة الإنسان

معلمٌ بُني من الطين والتبن في محافظة الرس (برج الشنانة) تحدى لأكثر من ٢٦٤ عاماً، مرور السنوات والتغيرات المناخية، ليبقى شامخاً بشكله المخروطي وطوله البالغ ٢٧ متراً. وهو مكون من عشرة أدوار، ويوجد في كل دور فتحة لدخول الهواء وللمراقبة. والمبنى مزيّن بنقوش من الخارج والداخل، ويتكون البرج من قاعدة مستديرة الشكل، قطرها ١٢ متراً، و مسقوفة من الخشب والإثل وجريد النخيل.

هذه مواصفات للبرج وبناؤه ولكن أين مواصفات ولون العرق وطعم وشكل الأيدي والأكف التي شيدت وتقرحت وتعبت حتى اكتمل البناء ليكون سداً منيعاً صامداً في مواجهة الغزاة والمعتدين؟.

لماذا لا تظهر مع مواصفات برج الشنانة وعدد أدوراه عدد وأشكال وألوان ضربات يد المعماري الفريد (فريح بن فواز التميمي)؟، لم لا يذكر المؤرخون الأيام والشهور التي قضاها هذا المعماري الفريد في العمل بجد واجتهاد حتى وقوف هذا الصرح الشامخ ليومنا هذا يذكرنا بالأمجاد، ويعيدنا لذكريات البطولة والفداء؟.

فالمعماري (فريح) ليس هو جدي أنا لوحدي، بل هو جد أسرة (الفريح) بمحافظة البكيرية، وهو جد الوطن كله. هو ذلك الجد المهندس، والبناء، والعامل، والمحارب بنفس الوقت، فهو الذي هنْدس، وبَنى، وصمّم عام ١٢٣١هـ برج الشنانة، وبالتالي كان لهذا البرج دوراً حاسماً في حسم معركة الشنانة، والتي تعتبر من أهم معارك الملك عبد العزيز – رحمه الله- الفاصلة في توحيد المملكة العربية السعودية حيث وقعت في عام ١٣٢٢هـ.

نعم يا سادة ... دعونا ونحن نستحضر عظمة البناء وجمال التشييد أن نستحضر معها عظمة من بنى وشيّد، ومن بذل من دمه وعرقه وجسده الكثير ليختلط مع مواد البناء، لتصبح ذرات كفيه الماهرتين مختلطة بذرات الطين والخشب، وجريد النخل، لتؤلف معاً سيمفونية العظمة والشموخ، هذا هو الشعور الجميل أن نشعر بالمكان والبشر بآن معاً، أن نعرف قدر المكان ومكانة الإنسان الذي صنع المكان.

يقال أن برج الشنانة قد بني من الطين المخلوط بالتبن، فلنصحح لهم أن برج الشنانة بني من الطين المجبول بالعرق والدم والعزة والكرامة، كما يقال أنه نُقش في جدرانه الطينية عدة حفر لاستخدامها عند النزول والصعود من دور إلى آخر، هذه ليست حفر يا سادة هذه علامات وعيون البرج تشارك الباني عظمة اللحظة وميلاد الشموخ. فكما شهد برج الشنانة دفاع وملاحم أهل القرية في الحروب والمعارك ضد الغازي والمحتل، علينا أن نشن الحروب ضد النسيان، وضد الإهمال، فلا ننسى فضل من شيد وبذل الكثير، ولنشن حرباً على النكران، فنذكر الفضل لباني برج الشنانة، كما كان برج الشنانة يشهد حروب الدفاع والتصدي ضد الغزاة والمعتدين.

اليوم يستقبل هذا المعلم السياحي التاريخي البارز أعداداً متزايدة من السياح من الخارج، زواراً عرب وخليجيين وأوربيين ومن الداخل من مختلف مناطق المملكة العربية السعودية يشدهم إليه جمال عمارته ودوره التاريخي المهم، فلنخبرهم بأن يتذكروا المهندس والمعماري، ومن كانت كفه تخضب الطين مع العرق والدماء لتكون لبنات أساس لهذا الشموخ الصامد على مدى السنوات والأيام، وبما أنه قد نُفذ مؤخراً مشروع تهيئة القرية الشعبية في بلدة الشنانة في المنطقة المحيطة بالبرج، كذلك تم تأسيس سوق شعبي يحاكي الطابع الأثري والتراثي للمكان، وكذلك بوابة تبين هوية الموقع وأهميته، كما تم ترميم المعالم الأثرية المحيطة والقريبة من البرج. فليضاف لذلك عملية ترميم للذاكرة البشرية، ولنضع ضمن هذه الإجراءات الترميمية إجراءات ترميم لذاكرة الإنسان، لنذكر الزائرين والسائحين، وقاصدي جمال وروعة التاريخ والمكان بالإنسان الذي يمكنه أن يفعل مثل ما فعل المعماري الفريد (فريح التميمي) – رحمه الله- ولنجعل لذكراه مع شموخ برج الشنانة عنواناً للإنسان السعودي الذي همته كما قال سيدي ولي العهد – محمد بن سلمان- همة الإنسان السعودي مقتبسة من همة جبل طويق الشامخ.

أسامة الفريح التميمي

al-foreh@hotmail.com